

المبحث الرابع :

هل للمدين أثر في الإرهاب؟

المبحث الرابع

هل للدين أثر في الإرهاب؟

لم تتوسع (راند) في دراسة علاقة الإرهاب بالدين، وإنما أشارت إليه بعض إصداراتها، وأبرز من تناوله دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب) الصادرة عام ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م، لكنها لم تناوله باستفاضة بل استعرضت ما كُتب في شأن علاقة الإرهاب بالدين. وأكثر إصدارات (راند) لم تتطرق إلى علاقة الدين بالإرهاب، وتميل أكثر الإصدارات التي تطرقت إليه إلى نفي العلاقة بين دين الإسلام والإرهاب. لكن هل هذا النفي عند بعض الخبراء هو نفي حقيقي؟ أم نفي تكتيكي؟

سيستعرض هذا المبحث ذلك، مع تعريف الدين وبيان موقف دين الإسلام من الإرهاب، وذلك في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الدين، وموقف دين الإسلام من الإرهاب:

يطلق الدين في لغة العرب على عدة معان، منها أنه: الجزاء، والعادة والشأن، والعبادة، والطاعة، والذل^(١).

وعُرِّفَ الدين في الاصطلاح بعدة تعريفات، من أهمها:

- ١- الدين: «اسم لجميع ما يُتَعَبَدُ الله عز وجل به»^(٢).
- ٢- الدين: «وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات»^(٣).
- ٣- الدين: «مجموع عقائد، وأعمال يلقتها رسول من عند الله ويعد العاملين بها بالنعيم والمعرضين عنها بالعقاب»^(٤).
- ٤- «الدين: وضع إلهي، يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات»^(٥).

يتضح موقف دين الإسلام من الإرهاب بالنظر إلى عنايته الفائقة بحفظ النفس والمال والنسل؛ حيث جعلها من الضروريات التي يجب حمايتها وحفظها، ورتب العقوبة على كل من اعتدى على شيء منها.

وقد تضافرت النصوص الشرعية في تأكيد هذا.

فمن أدلة الكتاب قول الله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٦).

(١) الصحاح ٢١١٨/٥؛ والقاموس المحيط، ص ١٥٤٦؛ ولسان العرب ١٦٩/١٣-١٧٠.

(٢) القاموس المحيط، ص ١٥٤٦.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، ص ١٦٨.

(٤) التحرير والتنوير ١٨٨/٣.

(٥) الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز، ط ٢، (الكويت، دار القلم، ١٣٩٠هـ)، ص ٣٣.

(٦) سورة المائدة، من الآية: ٣٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٢). قال القرطبي: «وهذه الآية نهي عن قتل النفس المحرمة، مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٦).

«الإرهاب جريمة من أكبر الجرائم في نظر الشرع الإسلامي، وتعد الخرابة والبغي بغير حق من الجرائم المسماة في الشرع، والتي يتكيف بها الإرهاب في بعض صورته التطبيقية، ومع ذلك فقد أغلظ الله العقوبة على من يحترف هذه الجريمة ويسلك سبيلها»^(٧)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٨).

(١) سورة النساء، من الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ١٥١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٨٧/٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٥) سورة القصص، من الآية: ٧٧.

(٦) سورة الأعراف، من الآية: ٣٣.

(٧) "إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه"، د. بدر بن ناصر البدر، في: المؤتمر العالمي عن موقف

الإسلام من الإرهاب، ص ٨.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

ومن أدلة السنة المؤكدة على حفظ النفس والمال والنسل: قول رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمٌ أَمْرِي مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ»^(٣) الحديث.

وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا»^(٥) لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(٦).

إن تلك النصوص وغيرها لتبرز موقف الإسلام القاطع من الإرهاب، وهو موقف يُحرّم الإرهاب بجميع صورته، مهما كانت أهدافه وغاياته، ويعاقب عليه في الدنيا والآخرة، ويعلّظ العقوبة في بعض الصور.

(١) متفق عليه: سبق تخريجه ص ٢٧٠.

(٢) البخاري ٤٤/٨، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، جَهَنَّمُ، ح ٦٨٦٢.

(٣) متفق عليه: البخاري ٤٦/٨، كتاب الديات، باب قوله الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، ح ٦٨٧١؛ ومسلم ٩٢/١، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ح ٨٨.

(٤) متفق عليه: البخاري ٢٩/١، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»، ح ٦٧؛ ح ٦٧؛ ومسلم ١٣٠٦/٣، كتاب القسامة والمحاربن والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ح ١٦٧٩.

(٥) "المعاهد: من كان بينك وبينه عهد، وأكثر ما يُطلق في الحديث على أهل الذمة، وقد يُطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مدة ما". النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣٢٥.

(٦) البخاري ٧٨/٤، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، ح ٣١٦٦.

المطلب الثاني: علاقة الإرهاب بالدين في دراسات (راند):

تقول دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب): «لعل أكبر مجال الخلاف في الإصدارات عن الأسباب الجذرية للإرهاب: العلاقة بين الثقافة والعقيدة والدين، وبين الإرهاب»^(١).

وقد قامت باستعراض الدراسات والمؤلفات التي تناولت الإرهاب، وتقول: معظم المواد المطبوعة التي قمنا باستعراضها كانت تتجنب التطرق إلى موضوع الدين، سوى دراسات هدفت إلى إظهار الدين على أنه ليس عاملاً مهماً في قضية الإرهاب^(٢).

وتقول: إن التطرق لهذا الموضوع يدعو للقلق؛ فمن حيث الفكر، فإنه مجرد فرع من مجموعة عقائد وأفكار متداخلة إلى حد كبير؛ ومن حيث التاريخ، فإن الإرهاب لظالم كان مسيراً من قبل دوافع ومحرضات ليس لها علاقة بالدين^(٣).

وسبب آخر يدعو للقلق من التطرق إلى علاقة الدين بالإرهاب: وهو أن الأديان يمكن أن تكون عوامل قوة إيجابية أو سلبية^(٤).

وتقول: يرى أحد الباحثين: أن الدين يسهم في تسهيل مبدأ استخدام العنف، وبخاصة عندما تنظر العامة إلى التهديدات الخارجية بمنظار ديني^(٥).

ويرى آخر: أن الدين يسهم في حدوث (تطرف) على المستوى الفردي، وحدثت رغبة جامحة في التغيير^(٦).

(١) Social Science for Counterterrorism. P. 38

(٢) المرجع السابق: P. xlviii- xlix

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

ويدرك بعض خبراء (راند) أنه يجري في بعض المنظمات الإرهابية التمسح باسم الدين لتحقيق أهداف ليس لها علاقة بالدين، فضلاً عن أن المنظمة لا تقيم للدين وزناً. تقول دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب): تبدو بعض المنظمات الإرهابية دينية في ظاهرها، ولكنها في الحقيقة تعتمد إلى استخدام الدين لجذب الجمهور العام بينما تحركها أهداف علمانية. وتسعى بعض المنظمات الإرهابية إلى تحقيق أهداف سياسية باسم الدين، مع أن الدين ليس له مكان لديها^(١).

إن من يحاول أن يوجد علاقة بين الدين والإرهاب يداخله الخلل من عدة طرق أو أحدها، فقد يدخل عليه الخلل من خلال مفهومه للإرهاب عندما يُدخل فيه ما ليس منه؛ وبالتالي يجعل الدين سبباً في الإرهاب.

وقد يدخل عليه الخلل من خلال الحالة الدراسية التي يقوم بدراستها، وذلك عندما يجعل حالته عينة ممن قل علمها وضعفت بصيرتها في دينها، ثم ينسب ذلك إلى الدين، وهو في الحقيقة ناتج عن قلة الدين وسوء العلم به، وليس عن الدين.

إن الدين الصحيح المبني على «العلم الشرعي المؤسس على الكتاب والسنة هو الذي يهذب النفوس، ويظهر القلوب، ويقيد صاحبه عن العنف والإجرام، ويمنعه من الظلم والعدوان، ويحمله على تعظيم حقوق العباد وحفظ مصالحهم، ويحجزه عن الإقدام على هتك الحرمات، وارتكاب المظالم والموبقات. وهو يمنع من العنف ابتداءً»^(٢).

فدين الإسلام صمام أمان ضد الإرهاب وجميع أعمال العنف، وكلما زاد تمسك الناس والحكومات به قل العنف في مجتمعاتهم^(٣)، والتاريخ الإسلامي والواقع المعاصر يشهدان بهذا، وقد توصلت رسالة دكتوراه علمية في نتائجها إلى «أن التقصير الحاصل في تدريس المقررات الدينية في بعض البلاد الإسلامية كان السبب المباشر في بروز مشكلة الإرهاب»^(٤).

(١) نفسه: P. 166

(٢) "أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان"، د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان، في: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، ص ٣-٤. وسياق كلامه في الحديث عن العلم الشرعي.

(٣) ينظر: أسباب ظاهرة الإرهاب، ص ١٠، ١٦-١٨.

(٤) موقع مكتبة الملك عبد الله: <https://uqu.edu.sa/majalat/humanities/vol13/m08.htm>

والرسالة بعنوان: دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب، لخالد صالح ناهض الظاهري.

المطلب الثالث : التكتيك في نفي علاقة العنف والإرهاب بالإسلام:

منذ أن توجهت الولايات المتحدة الأمريكية إلى استهداف العالم الإسلامي بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، كان هناك من الباحثين والمخططين الغربيين من يحاول أن يستقرئ مواقف المسلمين تجاه الولايات المتحدة والغرب. وازدادت وتيرة الاستقراء بعد احتلال الولايات المتحدة أفغانستان والعراق، حيث يمكن أن يرى المسلمون أن الولايات المتحدة تستهدف بحرها الإسلام نفسه ولا تستهدف الإرهاب.

يحاول خبير (راند) (فولر) -قبل أحداث ١١/سبتمبر- أن يستقرئ مشاعر المسلمين تجاه الغرب، فيقول: «الثقافة الإسلامية لا تزال تميل إلى الاعتقاد بأن الغرب يسعى إلى تدمير الإسلام، وربما لم يعد باسم النصرانية، ولكن بقصد إضعاف العالم الإسلامي من أجل السيطرة عليه»^(١).

ويقول في كتاب آخر هو و(ليسر): «لا نعتقد أن التوتر بين الإسلام والغرب يقوم على طابع ديني»^(٢).

وتجعل دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) من أهم الشروط الرئيسة لتحقيق نظام فاعل في تحقيق استراتيجية طويلة الأجل لصالح الغرب: أن تقوم الولايات المتحدة وحلفاؤها بالتوضيح للمسلمين أن الحرب على الإرهاب ليست حرباً على الإسلام^(٣).

وتقول: «سيواصل المتطرفون على تقديم تصرفات الولايات المتحدة بأنها حرب ضد الإسلام، وسيحاولون استخدام تلك التصرفات لزعزعة استقرار الحكومات المعتدلة. ولذلك

(١) Islamic Fundamentalism in the Northern Tier Countries. P. 28

(٢) A Sense of Siege. P. 7

(٣) The Muslim World after 9/11. P. 412

يجب على الولايات المتحدة أن تعير -بعناية- خطواتها القادمة في الحرب على الإرهاب؛ بهدف تجنب الآثار المزعزعة للاستقرار»^(١).

وتقول (بينارد): «تبدو الولايات المتحدة مؤمنة بأن الشارع العربي سيهدأ ويسكن في حال أعلنت الولايات المتحدة عن قبولها واعتبارها الإسلام ديانة وأسلوب حياة»^(٢).

وجاء في ورشة العمل (استكشاف صراع ديني) التي عُقدت عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، قولهم: «العنف الذي تحركه دوافع دينية أصبح عنصرًا سائدًا في الصراعات الحديثة... هذا واضح في ارتفاع حركات (التمرد) الإسلامية في مناطق، مثل الشيشان، وأفغانستان؛ والهجمات الإرهابية التي وقعت في المملكة العربية السعودية، وإندونيسيا، والمغرب، وكذا في إسبانيا والولايات المتحدة»^(٣).

ويقول المشاركون في الورشة: تظهر الولايات المتحدة أمام العالم على أنها عدوة للإسلام؛ مما يجعل الصراع واسعًا جدًا»^(٤).

ويرون: أن المسلمين ينظرون إلى الحرب الحالية على الإرهاب على أنها (حرب ضد الإسلام)؛ وهو بمثابة دعوة للمسلمين للدفاع عن دينهم. ويدعو إلى أن تقوم الولايات المتحدة بالحوار مع المسلمين في جميع أنحاء العالم لإبطال هذه النظرة، وأن تكون الخطوة الأولى: الطلب من بعض المثقفين المسلمين المساعدة في إزالة هذه الصورة»^(٥).

وتشير دراسة (الحرب بوسائل أخرى) إلى أن نسبة كبيرة من المسلمين ينظرون إلى الوجود العسكري للولايات المتحدة في العراق على أنه هجوم على الإسلام^(٦). كما تشير إلى أن

(١) The Muslim World after 9/11. P. xxiv-xxv

(٢) إسلام حضاري ديمقراطي، ص ٤٨.

(٣) Exploring Religious Conflict. P. 1

(٤) المرجع السابق: P. 32

(٥) نفسه: P. 44

(٦) War by Other Means. P. xxvi

استخدام الولايات المتحدة للقوة في العالم الإسلامي على نطاق واسع، تحت اسم (الحملة العالمية للحرب على الإرهاب)، يمكن أن يذكي الجهاد^(١) حتى في أوساط السكان الذين ينبذون الإرهاب غالباً^(٢).

وترى: أن التدخل العسكري الأجنبي -بشكل عام- غير ناجح في مكافحة الجهاد^(٣)، وغير منتج، ويأتي بنتائج عكسية، وكلما زاد عدد القوات الأجنبية كانت النتائج أسوأ، ويزداد الفشل عندما يُنظر إلى التدخل بأنه هجوم على المسلمين ودينهم^(٤).
وُثبي خوفها من أن تصبح الحرب على (الإرهاب) حرب مقاومة المسلمين ضد الأمريكيين^(٥).

هذه النصوص تجعل الباحث يرجح بأن بعض من ينفي الإرهاب عن الإسلام من خبراء (راند) وغيرهم، لا ينفيه حقيقة، ولكن تكتيكا.

فلا بد للخبراء (راند) وغيرهم من الغربيين من نفي علاقة الإسلام بالإرهاب وإن لم يكونوا مقتنعين بذلك؛ لأن القضية لم تعد مجرد نظرية، بل صارت مستنداً لدعوة الحرب وشنها على العالم الإسلامي برمته، بمعونة المسلمين وغيرهم، من خلال خطط مرحلية تستوعب العالم الإسلامي كله.

فلو حُدد الإرهاب بالضبط؛ لحدّ من الأهداف الاستعمارية الأمريكية الواسعة، وهو أمر لا يريدونه. ولو أكدوا على علاقة الإرهاب بدين الإسلام لتنبه المسلمون جميعاً إلى أنها (الحرب العالمية على الإسلام) وليس الإرهاب، فسحبوا يد التعاون مع الغرب، ودفعتهم لمزيد من الحشد والمدافعة ضده.

(١) تعبير الدراسة: (التمرد Insurgency).

(٢) War by Other Means. P. xxxvii

(٣) تعبير الدراسة: (التمرد).

(٤) War by Other Means. P. xlvi-xlviii

(٥) المرجع السابق: P. 349

ولذلك ذهبت بعض إصدارات (راند) إلى نفي العلاقة بين دين الإسلام والإرهاب، وذهب أكثرها إلى عدم التطرق أساساً لهذه العلاقة، ونَحَت إلى ربط الإرهاب بشيء آخر يرتبط بالإسلام دون توجهه إلى الإسلام مباشرة، مثل أن (التطرف) أو (الأصولية) أو (الوهابية) أو (السلفية)، وما يتصل بذلك من مؤسسات وجماعات وأفراد، طريق أو أرض خصبة للإرهاب.

ويؤكد ما ذهب إليه الباحث تصريح خبيرة (راند) (شيريل بينارد)، حيث تقول: «عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، بدأ القادة السياسيون وواضعو السياسات في الغرب بإصدار بيانات تؤكد قناعتهم بأن الإسلام لا يلام على ما حصل، وبأنه قوة إيجابية في العالم، وديانة تدعو للسلام والتسامح؛ ولذلك صدرت عنهم خطابات ألقيوها في المساجد، وعقدوا اجتماعات مع قادة دينيين مسلمين، حصلت على ترويج إعلامي واسع، ودُعي الدعاة المسلمون لفعاليات عامة مفتوحة، وأدرجوا آيات قرآنية في خطاباتهم... ولم تقتصر هذه المقاربة على الولايات المتحدة فحسب بل سادت أيضاً في أوروبا»^(١).

وترى (بينارد) أن القيادات الغربية غير مقتنعة بأن الإسلام دين سلام، وإنما أصدرت تلك التصريحات التي تدل على تقبلهم للإسلام بشكل جزئي لأسباب، هي^(٢):

١- حماية الأقليات غير الإسلامية التي تعيش بين المسلمين؛ حيث إن التصريح بعداء الإسلام سيؤدي إلى أعمال عنف ضد الأقليات.

٢- دفع حكومات الدول الإسلامية إلى تقديم الدعم السياسي للجهود التي تُبذل في دحر (الإرهاب)، من خلال فصل مسألة الإرهاب عن موضوع الإسلام.

٣- إيجاد رؤية على المدى البعيد، تسمح بتكامل أفضل بين الشخصيات السياسية الإسلامية والدول داخل النظام الدولي الحديث.

(١) إسلام حضاري ديمقراطي، ص ١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤.